من المعنى البنيويّ والتّوليديّ إلى المعنى التّداوليّ العرفانيّ: مفاهيم ومباحث.

From structural and generative to Cognitive Pragmatics meaning: Concepts and researchers.

أ. جعفري عواطف♣

تاريخ الاستلام: 25-04-2020 تاريخ القبــول: 30-03-2021

ملخّص: تطوّر الدّرس اللّساني في الآونة الأخيرة بشكل ملحوظ، وقد أدى هذا التّطوّر إلى تغيير في مسار البحث من النّظام الدّاخلي المحدود للغة المعتمد على دراسة الخصائص الهيكليّة لأشكال الجمل والاهتمام بمركزيّة التّركيب على حساب المعنى؛ إلى البحث في العمليّات العرفانيّة والخلفيّات السّياقيّة الواقعيّة التي تحكم التّواصل التّفاعلي الإيجابي بين المتكلّمين والمستمعين، أي الاهتمام بمركزيّة المعنى بالدّرجة الأولى، وهذا ما دعت إليه التّداوليّة العرفانيّة كتخصّص مميّز في العلوم العرفانيّة، فهي تبحث في كيفيّة تشكل المعنى وإنتاج الأقوال والخطابات انطلاقا من العلاقة الرّابطة بين اللغة والواقع داخل الذّهن البشري، بالإضافة إلى البحث في نظريّات التّواصل المعاصرة ومقاربات المعنى الموسوعيّة. لذا سنسعى في هذا المقال إلى إماطة اللثام حول مقاربات المعنى الجديد الذي طرحته التّداوليّة المعاصرة المخالف لمفهوم المعنى السّائد مع إبراز دوره كآليّة أساسيّة في فهم الخطاب وتحليله.

كلمات مفتاحيّة: المعنى؛ اللسانيات البنيويّة؛ اللسانيات التّوليديّة؛ العلوم العرفانيّة؛ التّداوليّة العرفانيّة.

Abstract: The recent evolution of the lingual lesson has significantly changed the course of research from the limited rules of procedure of the language based on the study of the structural characteristics of ligation forms and the concern for centralization of the synthetic at the expense of meaning; To

♣جامعة العربيّ التّبسي، تبسّة، الجزائر، البريد الإلكتروني:a.djaf@yahoo.fr (مؤلّف مرسل).

research the cognitive processes and realistic contextual backgrounds that govern positive interactive communication between speakers and listeners.that is the centrality of meaning primarily, which was called for by Cognitive Pragmatics measures as a distinct specialization in the cognitive sciences. It examines how meaning is shaped and the production of words and speeches based on the interrelationship between language and reality within the human mind, as well as research into contemporary communication theories and approaches to the seasonal meaning

In this article, we will seek to discover the new meaning approaches that contemporary pragmatics measures have put forward that are contrary to the concept of dominant meaning, while highlighting its role as a key mechanism for understanding and analyzing discourse.

Keywords: meaning; structural linguistics; linguistics generative and transfomational;cognitive sciences; cognitive pragmatics.

1.مقدّمة: « يمكن للنّاظر في تاريخ علم الدّلالة أن يلاحظ وجود ثلاثة تيارات متعاقبة قادت علم الدّلالة في اتّجاهات مختلفة متعاقبة»[1] أوّلها التّيار البنيوي وثانيها التيار التّوليدي، وثالثّها التيار العرفاني؛ هذا التّيار الذي جعل العديد من الباحثين يعيدون النّظر في مباحث المعنى فكانت اللسانيات التّداوليّة العرفانيّة من أهم التيارات اللسانيّة الحديثة التي أعادت النّظر في هذا الجانب، فجمعت بين المنظور البلاغي الجديد ونظريات التّواصل المعاصرة، وعمدت في دراسة المعنى إلى جانبين متكاملين ومنسجمين: جانب عرفاني؛ ذلك أنّ الأقوال تُعَالج في الذّهن البشري بالتّفاعل مع سائر الملكات العرفانيّة، وجانب تداولي أين يتم فهم هذه الأقوال في سياقها العام وتأويلها تأويلا يضمن للمتخاطبين عمليّة تواصل ناجحة.

من هنا انبثقت الإشكاليّة الخاصّة بموضوع الدّراسة: "من المعنى البنيوي والتّوليدي إلى المعنى التّداولي العرفاني: مفاهيم ومباحث"، وبرزت بشكل أساسي من خلال جملة التّساؤلات الآتيّة:

– ما المفهوم الذي قدّمته كل من اللسانيات البنيويّة والتّوليديّة التّحويليّة للمعنى؟.

– ما المقصود بالعلوم العرفانيّة من جهة، والتّداوليّة العرفانيّة كتخصّص مميّز فيها من جهة أخرى؟.

– ما المفهوم الجديد الذي صاغته التّداوليّة المعاصرة للمعنى؟ أو بصيغة أخرى؛ كيف تمّ الانتقال من المعنى بوصفه بنيّة دلاليّة محدودة ضمن النّظام اللغوي في كل من اللسانيات البنيويّة واللسانيات التّوليديّة التّحويليّة؛ إلى معنى جديد بوصفه بنيّة دلاليّة موسّعة وشاملة في التّداوليّة العرفانيّة؟.

كل هذه التّساؤلات سيتم الإجابة عنها في هذا المقال من خلال تتبّع مسارات المعنى في التيارات الثّلاثة المذكورة آنفا.

2.المعنى في اللسانيات البنيويّة: إنّ الحديث عن المعنى في اللّسانيات البنيويّة يسوقنا إلى الحديث عن المعنى في كلّ من البنيويّة الأوروبيّة بزعامة فرديناند دي سوسير والبنيويّة الأمريكيّة بزعامة بلومفيلد.

« نشأ علم الدّلالة البنيوي من التّوازي في التّحليل بين كل من الدّال والمدلول، وقد برز ذلك بشكل واضح من خلال المؤلَّف الشّهير للّغوي السّويسري فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure" محاضرات في اللسانيات العامّة Cours de linguistique générale"، فبالنّسبة إلى اللسانيات البنيويّة فإنّ قوانين المعنى محتواة في قوانين العلامة»[2].حيث لا يتسنى لنا فهم معنى العلامة اللغويّة إلاّ إذا تم فهم العلاقة الرّابطة بين الجوهر المزدوج، ونعني هنا "الدّال والمدلول"، «وفي هذا الإطار فإنّ الدّال اللغوي لا يمكن بحال من الأحوال أن يحيلنا على الشّيء الذي يعنيه في العالم الخارجي مباشرة، وإنّما مرورا بالمدلول أو المحتوى الذّهني الذي يرجعنا إلى الشّيء الذي تشير إليه العلامة اللسانيّة».[3] فمفهوم الدّال منحصر مباشرة في مدلوله ولا يمكن له أن يحيلنا إلى معناه في الواقع إلا بالرّجوع إليه، والشّيء الذي يعنيه الدّال في العالم الخارجي يسمّى المرجع (Référent) المتعلّق بمدلول العلامة.

أي أنّ «النّظام اللساني هو نظام مغلق صِلاته ذات تعلّق داخلي فلا نعني بالمعنى شيئا آخر سوى صلات التّوزيع بين علامات من الجنس نفسه وصلات التّراتب بين علامات ذات رتب مختلفة»[4]. أمّا فيما يتعلّق بالعلاقات الزّمنيّة* التي

تربط بين الوحدات اللغويّة فإنّ وحدات المعنى «تتّسم بسمتي الاختلافيّة والتّقابليّة فكما أنّ الصّوتم ليس له وجود مادي ثابت، ولا يمكن تعريفه إلاّ في تقابله مع غيره من الصّواتم، فإنّ المعنى ليس سوى اختلاف ضمن نسق معجمي، وما نسميه معنى الكلمة يتكون من كل ما يدور حول هذه الكلمة. والعلامة المعجميّة ليست معنى آخر سوى مكانها في النّسق الذي ينضوي تحته»[5].

من هنا يمكننا القول أنّ المعنى في البنيويّة الأوروبيّة هو شكل وليس مادة (جوهرا) وقد أكّد سوسير ذلك بقوله: «وبعبارة أخرى اللغة هي شكل وليست مادة»[6].

هذا ما ميّز المعنى في البنيويّة الأوروبيّة حيث احتل منزلة ثانويّة بعد التّركيب؛ لأنّ دي سوسير أراد أن يؤسّس من نظريته اللغويّة منهجا شكليا تركيبيا للغة مستقلاً بذاته؛ فاهتم بالشّكل على حساب جوهر المادة؛ فالمعنى عنده محكوم بقوانين العلامة اللغويّة وبالصّلات ذات التّعلّق الدّاخلي التي تكتسب قيمتها من ترابطها وتقابلها فيما بينها.

وهو «ما ميّز البنيويّة الأوروبيّة عن المنحى والاتجاه البنيوي الأمريكي. فقد قامت البنيويّة الأمريكيّة التي هيمن عليها Bloomfield منذ الثّلاثينات، كما أثر فيها الاتجاه السّلوكي التّوزيعي Le behaviorisme distributionnaliste، على إبعاد كل وصف للمعنى من برنامجها وإقصائه»[7]؛ لأنّ بلومفيلد سعى في دراسته للغة إلى إبراز العلاقة بين المثير (Stimulus) والاستجابة (Response) بوصفها سلوكا بشريا، وما تتركه أو تَتْبَعه تلك الاستجابة من آثار على الفرد متأثرا في ذلك بالمنهج السّلوكي لواطسون Watson.

و«يُعدّ إقصاء المعنى من الوصف اللغوي الدّقيق الجانب السّلبي في انجازاته... فمعنى بلومفيلد لا يقع في الحقيقة داخل اللغة بل خارجها، ويعني في كل حال وظائف تواصليّة وليس مضامين لغويّة...ولأنّ المعنى بالنّسبة لبلومفيلد غير لغوي فقد استبعده من علم اللغة الصّارم»[8].

هذا يعني أنّ بلومفيلد في وصفه الدّقيق للغة لم يعتمد إطلاقا على المعنى، بل انصبّ جلّ اهتمامه على التّفسير الدّقيق للسلوكات اللغويّة انطلاقا من تحديد العلاقة بين المثير والاستجابة وما يتركانه من أثر على الفرد.

3. المعنى في اللسانيات التّوليديّة التّحويليّة: شهد النّصف الثّاني من القرن العشرين تطورا هامًّا ومنعرجا حاسما في تاريخ الدّراسات اللغويّة خاصّة في أمريكا بظهور منهج جديد في اللسانيات هو المنهج التّوليدي التّحويلي بزعامة اللغويّ والفيلسوف الأمريكي نوام تشومسكي Noam chomsky(07 ديسمبر 1928) وسُمّيت نظريته بنظريّة النّحو التّوليدي التّحويلي Theory of transformational. (générative grammar) وقد حظي تشومسكي بمكانة علميّة مميّزة في مجال اللسانيات بحيث لا نجد دراسة لغويّة إلاّ وتطرّقت إلى أعماله، فكان كتابه "التّراكيب النّحويّة" "Syntactic Structure" الصّادر سنة 1957م بمثابة الانطلاقة الأولى والمحرّك الرّئيس للمدرسة. و«كلّنا يذكر أن تشومسكي اعتبر سنة 1957 في كتابه "الأبنيّة النّحويّة"، أنّ مهمّة النّحو التّوليدي الوحيدة تتمثل في التّعريف بالأبنيّة النّحويّة للغة باعتبارها مجموعات محدودة من الجمل ذات التّركيب السّليم، الأمر الذي يؤكّد أنّ الفرضيّة التي انطلق منها تعتبر أنّ النّحو ليس إلاّ دراسة شكلانيّة لأشكال الجمل وتراكيبها مستقلة كل الاستقلال عن المعنى»[9]. أي أنّ تشومسكي في نموذجه التّوليدي الأوّل اعتمد على المكوّن التّركيبي فحسب دون توجيه وجهته صوب الدّلالة، وعلى هذا الأساس «تعالت بعض الأصوات التي لاحظ أصحابها أنّ اعتماد التّركيب (La syntaxe) وحده لا يسمح بحلّ عدد كبير من المشاكل المطروحة وسيؤكّد كل منFodor وKatz منذ سنة 1963 على ضرورة تلقيح المكون التّركيبي القاعدي بإضافة مكون دلالي، ثم سيقوم Katz وPostal سنة 1964 بتطوير مفهوم المكون الدّلالي وتوسيعه، وذلك حتى يقتنع تشومسكي ويتبنى وجهة النّظر الجديدة في كتابه **Aspets of syntactic theory الذي يمثل صياغة جديدة للنظريّة التّوليديّة التّحويليّة»[10].

هكذا اقتنع تشومسكي بضرورة إضافة المكون الدّلالي وكان الفضل لمجموعة العلماء أمثال "فودور وكاتز وبوستل"، إلاّ أنّه بعد الانتقادات الكثيرة التي طالت نموذجه الثّاني خاصّة من النّاحيّة الدّلاليّة اضطر تشومسكي إلى إعادة النّظر في نظريته، وأقرّ بأنّه لا يمكن الوصول إلى نظريّة شاملة ومتكاملة دون إدراج المعنى وقد تدارك هذا النّقص في نموذجه الأخير(المرحلة النّموذجيّة الموسعة1972)

أين«عرف مسار الدّلالة في النّحو التّوليدي نشوء نظريتين تقاربان المعنى في اللغة الطّبيعيّة: نظريّة الدّلالة التّأويليّة، ونظريّة الدّلالة التّوليديّة، وتختلف النّظريتان في كيفيّة تمثيل المعنى على مستوى بنيّة النّحو...وينبغي أن نذكّر أنّ النّظريّة الأولى لا تعطي للدلالة إلاّ دورا تأويليا، أمّا النّظريّة الثّانيّة فتحاول أن تبرّر أنّ هذا الدّور لا يليق بالمكون الدّلالي، إذ أنّ المكون الدّلالي، بحسب النّظريّة الثّانيّة، مسؤول عن توليد الجمل واتخاذها الشّكل الذي تتخذه في التّركيب، كما أنّ جزءا مهمًّا من العلاقات التّركيبيّة ليس سوى انعكاس للمعلومات الدّلاليّة وليس العكس»[11].

وبالرّغم من وجود جملة من التعدّيلات على نماذج تشومسكي إلاّ أنّ مركزيّة التّركيب على حساب المعنى مازالتّ جائرة، وقيام التّوليديّة على مركزيّة التّركيب «كان مدخلا لطعون نظريّة عديدة فيها ومخرجا للكثير ممّن اشتغلوا في إطارها منذ نشأتها من قبيل...جورج لايكوف وبول بوستل وجيمس ماك كاولاي James McCawley. وقد كان الخروج في البداية سعيا إلى إقامة ما أُطلِق عليه الدّلالة التّوليديّة Generative Semantics...ولكن ذلك التّوجّه تفرّق في مقاربات متعدّدة مثّل بعضها نوى لمناويل نظريّة تبلورت في سنوات 1980 في نظريات قائمة برأسها وخفا بعضها الآخر»[12]، فكان لخروج هؤلاء الفضل في نشوء تيار لساني جديد ألا وهو "التيار العرفاني" حيث تخلى معظمهم عن المقاربة التّوليديّة وسعوا إلى إحياء نظريّة دلاليّة تهتم بمركزيّة الدّلالة ومرونة المعنى السّياقيّة والتّداوليّة.

4.المعنى في التّداوليّة العرفانيّة: إنّ الحديث عن المعنى في التّداوليّة العرفانيّة يستوجب الحديث أوّلا عن مفهوم كل من العلوم العرفانيّة والتّداوليّة العرفانيّة فما المقصود بهما؟

1.4.العلوم العرفانيّة: «العلم العرفاني هو حقل جديد يجمع بين ما هو معروف حول الذّهن ضمن العديد من التّخصّصات الأكاديميّة مثل: علم النّفس واللسانيات والأنثروبولوجيا والفلسفة وعلم الحاسوب. يسعى هذا العلم للإجابة عن تساؤلات من قبيل: ما هو العقل؟ وكيف نعطي معنى لتجربتنا؟ ما هو النّظام التّصوري وكيف ينتظم؟ وهل جميع البشر يستخدمون نفس النّظام التّصوري؟ إذا كان الأمر كذلك، فما هو هذا النّظام؟ وإنْ لم يكن كذلك، فما هو المشترك في طريقة التّفكير عند كل

الكائنات البشريّة؟ هذه الأسئلة ليست بجديدة وإنّما الجديد يكمن في بعض الأجوبة الرّاهنة عنها »[13]. فالعلوم العرفانيّة بهذا المفهوم هي حقل يمتاز بطابعه المتعدّد التّخصّصات تهدف إلى دراسة الذّهن البشري في جميع مظاهره، كما تدرس «الذّكاء عامّة والذّكاء البشري وأرضيته البيولوجيّة التي تحمله وتُعنَى بمَنْولَته وتبحث في تجلياته النّفسيّة واللّغويّة والأنثروبولوجيّة»[14].

2.4.التّداوليّة العرفانيّة Cognitive Pragmatics : تزامن ظهور العلوم العرفانيّة مع ظهور التّداوليّة وشكّل هذا التّقاطع ميلاد التّداوليّة العرفانيّة التي ظهرت مع بداية الثّمانينات، مع اتّصال شديد بالنّظريات المعاصرة التي « انفتحت على معطيات تجاوزت النّقل الحرفي، إلى البحث في الخلفيات المعرفيّة والسّياقيّة التي تحكم التّواصل التّفاعلي الإيجابي بين المتكلّمين والمستمعين، وهي معطيات تداوليّة تؤثث الفضاء التّواصلي العام بمختلف العوامل: المعرفيّة والسّياقيّة والنّفسيّة والاعتقاديّة».[15] ونعني بالتّداوليّة العرفانيّة تلك «المعرفة الشّاملة بالآخر، والمعرفة العميقة بمكوّنات عمليّة التّخاطب، أو هي...جزء من العلم المعرفي باعتباره المستوى الوسيط بين العالم الحقيقي أو الفيزيائي وعالم اللغة»[16]. فهي بهذا المفهوم تهتمّ بمعرفة كل ما يخصّ الآخر–والمقصود هنا المخاطِب أو المخاطَب–كما تهتمّ بمعرفة مكونات العمليّة التّخاطبيّة معرفة معمّقة تشمل الخلفيات المعرفيّة والسّياقيّة للغة الخطاب، وجملة المسارات الاستدلاليّة والاستنتاجيّة والتّأويلات من ناحيّة أخرى، فهي «تفترض أنّ العمليات المتّصلة بمعالجة الأقوال معالجة تداوليّة ليست مختصّة (أي موضوعة خصّيصا للنظام اللغويّ) وإنّما تتعلّق بالنّظام المركزي للفكر».[17] لذا فالتّداوليّة العرفانيّة بهذا المفهوم تجاوزت البحث في النّظام الدّاخلي للغة إلى البحث في العمليات العرفانيّة للغة المرمّزة في الذّهن البشري من جهة، كما ركّزت «على المقام التّواصلي للمتخاطبين والسّياقات الاجتماعيّة والثّقافيّة ... وتحليل المعنى المتداول والمبلّغ في علاقته بهم جميعا»[18]. وعن كيفيّة اشتغالها فهي تعتمد على البنيّة التّصوريّة*** الذّهنيّة في فهمها للأقوال وتأويلها وتحليلها من جهة، ثم معالجتها معالجة تداوليّة؛ أي ما تحمله هذه الأقوال من قوة تخاطبيّة، إقناعيّة، تواصليّة، للتأثير في المتلقي من جهة أخرى. مثّل الاتجاه التّداولي العرفاني كل من العالمين: "**سبيربر**

و**ولسن**" من خلال نظريتهما الموسومة بـ" نظريّة الصّلة أو المناسبة Theory of pertinence/Relevance****، وقد عرّفها Lucien Sfez "لوسيان سفاز" في القاموس النّقدي للتّواصل–القاموس الموسوعي للتّداوليّة بقوله: «نظريّة الإصابيّة هي نظريّة التّأويل هدفها الرّئيسي هو وصف كيف؟ ولماذا يؤوّل قول بطريقة اختياريّة معيّنة؟ ...وتعدّ الإصابيّة تطويرا للنظريّة التّداوليّة، حيث تندرج في إطار علم النّفس المعرفي»[19]؛ أي أنّ نظريّة المناسبة قائمة بالأساس على نظريّة التّأويل. وقد أكّد صاحبا النّظريّة "سبيربر وولسون" أنّ «الصّلة وحدها تكفي لتفسير التّواصل...الذي يسترشد به المتخاطبون، ووضعا التّفاصيل والتّفريعات الدّقيقة لهذا المبدأ، وبيّنا كيف أنّ قدرته التّفسيريّة تفوق كلّ القواعد، فقاما بتفسير كلّ الظّواهر مثل...الاستعارة والتّهكّم وأفعال الكلام...إلخ باستعمال المبدأ نفسه».[20] وعن كيفيّة معالجة الأقوال والمعاني وفق مبدأ المناسبة فإنّ المعالجة تكون « في المستوى الذّهني بداية عن طريق النّواقل العصبيّة، حيث تعطيه شكلا يجعله قابلا للدّخول في العمليّة العصبيّة، وبعد ذلك يُعالَج عن طريق القالب اللساني المتخصّص الذي يوافق تقليديّا الميادين التي تغطّيها الفونولوجيا والتّركيب والدّلالة، التي تقدّم الشّكل المنطقي للقول(متواليّة مبنيّة من المفاهيم) وهذا الأخير يصلح بعد ذلك للدّخول في العمليّة التّداوليّة المعرفيّة لتأويل القول التي توافق التّوظيف غير المتخصّص للقول عن طريق النّظام المركزي للذّهن »[21]. وبالإضافة إلى اعتمادها وبشكل أساسي على فرضيّة التّأويل فهي تعتمد أيضا على فرضيّة الاستدلال «في معالجة الأقوال وتأويلها، إذ تنحو منحًى عرفانيّا؛ كونها تحيل إلى الاشتغال الذّهني للعقل البشري أثناء معالجة الأقوال، وهي تعتمد على القدرة الذّهنيّة للمتلقي في التّعرّف على مقاصد الخطاب في بعده المباشر، من أجل الاعتماد عليها كمقدّمات يبنى عليها منوال الاستدلال للوصول إلى المعرفة المناسبة التي تمّ الاستدلال عليها»[22]. من هنا يمكننا القول أنّ «أكبر تحدّ كان أمام التّداوليات المعاصرة...هو وصف عمليّة التّأويل التّامة القول... نظرا للإشكالات التي بدأت تظهر وتُطرَح في مختلف مجالات العلوم التّواصليّة»[23] لأنّ «تأويل الأقوال هو عمليّة مرتبطة بواقع وحقيقة الأقوال، فهو يفترض إجراءات تحليليّة وصفيّة لعمليات كلاميّة، موجودة فعلا، أي متحقّقة بفضل

اللغة، التي هي نظام مزدوج من العلامات والرّموز اللسانيّة ونظام معرفي سيكولوجي »[24]. وبالإضافة إلى قيامه على الاستدلال فهو «أيضا رهين قدرة المخاطب العرفانيّة على بناء سياق يكون موفيا بالمناسبة أي سياقا يسمح بإنتاج تأويل منسجم مع مبدأ المناسبة»[25].

بقي الآن أن نشير إلى أنّ المنبع الذي اغترفت منه هذه النّظريّة أو لنقل الأساس الذي انطلقت منه هو تَمَثُّحِها من نظريتين معاصرتين تعتبران من أهم النّظريات المعاصرة في مجال التّواصل اللساني ألا وهما: نظريّة الفضاءات الذّهنيّة***** لجيل فوكونيي Gilles Fauconnier والنّظريّة القالبيّة لفودور Fodor.

1.2.4.نظريّة الفضاءات الذّهنيّة (Theory of Mental Spaces): تعدّ هذه النّظريّة من أهم النّظريات التي لعبت دورا هامًّا في المجال اللغوي وفي التّواصل اللساني بين المتخاطبين، فهي «تحوي كيانات ذهنيّة تُتيح شروط نجاح قول معيّن إذ يتم تخصيص الاقتضاءات والتّضمّنات باعتبار هذه الفضاءات. وهذه الفضاءات ذات الطّبيعة المعرفيّة تترابط داخل علاقات واسعة»[26]؛ لذلك نجد أنّ المتكلّم أو المخاطب «ينشىء ما لا نهاية له من الأفضيّة الذّهنيّة في جميع الأقوال التي ينجزها من قبيل المحادثات والقصص والخرافات والشّعر والرّواية والمسرح...وما إلى ذلك».[27]

من هنا برز وبشكل أساسي دور هذه النّظريّة في عمليّة التّواصل اللساني كونها «مقترح نظري عرفاني تأليفي ذو مدى دلالي تداولي يسمح باستيعاب إسهامات عرفانيّة سابقة من قبيل...مفهوم الاستعارة عند لايكوف وجونسون وتحليل الاقتضاءات بواسطة عوالم الخطاب المتّصل بعضها ببعض... ومعالجة ظواهر الإحالة».[28]

2.2.4. النّظريّة القالبيّة لفودور Fodor's Theory of Modularity: إنّ النّظريّة القالبيّة أيضا هي من أهم النّظريات التي خُصِّصت لمعالجة اللغة حيث تعمل على تبيان كيفيّة اشتغال اللغة داخل الذّهن، فهي تطرح أسئلة من قبيل: كيف تنتظم اللغة داخل الذّهن البشري؟ وهل الذّهن ذو طابع قالبي؟ وإن كان كذلك فما هو دور كل آليّة من آليات اشتغال الذّهن في معالجة تحليل اللغة؟.

«اعتبر فودور في كتابه الرّائد في هذا المجال: قالبيّة الذّهن، سنة 1983، أنّ الذّهن قائم على نمطين مختلفين من الأنساق المعرفيّة أو القوالب:

أ-**أنساق الدّخل (input systems) (أو الأنساق المحيطة)**: وتمثلها العمليات القالبيّة (كنسقي الإدراك البصري والإدراك اللغوي) التي تقدّم إلى الفكر مادّته وتحوّل الإحساسات النّاتجة عن تفاعل الذّات مع محيطها إلى تمثيلات قابلة لأن يعالجها الفكر...

ب-الأنساق المركزيّة (أو الفكر): وتمثّلها العمليات غير القالبيّة التي تقارن بين التّمثيلات، وتقوم بحساب استلزاماتها وبتثبيت المعتقدات العلميّة»[29].

أي أنّ جملة المعلومات والأفكار والأشياء تُستَقبل بشكل أولي من قِبَل أنساق الدّخل أو ما يطلق عليها أيضا بالأنظمة المداريّة• ثم تعمل فيما بعد بترجمة هذه المعطيات وتنظيمها في شكل قوالب متخصّصة••، وبواسطة عمل النّواقل العصبيّة تنتقل هذه المعلومات إلى الأنساق المركزيّة أين يتم هناك ضبطها ومعالجتها وتثبيتها. «وانطلاقا من هاتين النّظريتين استطاع صاحبا كتاب "الإصابيّة"(سبربر وولسون) تأسيس نظريّة تداوليّة معرفيّة شاملة، تعدّ حاليا من بين الأعمال التّأسيسيّة والمراجع المهمّة في مجال التّداوليات وعلم التّواصل المعاصر، وتشتغل هذه النّظريّة على مستويين تحليلين إثنين:

- **المستوى الذّهني**: أي كل ما يتعلّق بالمعلومات: الاستقبال والتّخزين والرّبط وغيرها، وكل ما هو مرتبط بالأنظمة القالبيّة المتخصّصة: أي الفهم الحرفي.

- **المستوى المعرفي**: أي كل ما يتعلّق بالمعطيات الدّاخليّة (الذّاكرة والمراكز الخلفيّة) والخارجيّة (السّياقات والمقامات والظّروف العامّة للقول) وكل ما هو مرتبط بالأنظمة المركزيّة غير المتخصّصة أي التّأويل».[30]

5.خاتمة: وفي الختام نودّ القول أنّ المعنى في التّداوليّة العرفانيّة هو معنى موسوعي وديناميّ مرن، مرتبط بمعالجة اللغة والعالم الحقيقي أو الفيزيائي داخل الذّهن البشري، ذلك أنّ التّداوليّة العرفانيّة تهتم بمعرفة الآخر معرفة عميقة وشاملة وبمكوّنات العمليّة التّخاطبيّة بما في ذلك الخلفيات المعرفيّة والسّياقيّة للغة الخطاب التي تسمح بإنتاج تأويل منسجم ومناسب للسياق؛ فالمعنى بهذا المفهوم تجاوز البحث

في النّظام الدّاخلي المحدود للغة إلى البحث في الأنظمة العرفانيّة المرتبطة بالذّهن البشري، وإبراز العلاقة بين التّمثيل الذّهني للغة وكيفيّة ربطه بالواقع، فهو يمكّننا من فهم ذواتنا وإدراكنا لكل ما يحيط بنا وبالعالم الخارجي كما يمكّننا أيضا من دمج العناصر البراغماتيّة وعناصر المعرفة بالعالم.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1-بن غربيّة عبد الجبار: مدخل إلى النّحو العرفاني، مسيكلياني للنشر والتّوزيع منوبة، تونس، ط1، 2010.

2-بن دحمان عمر: الاستعارات والخطاب الأدبي-مقاربة معرفيّة معاصرة-مذكرة لنيل درجة الدّكتوراه، إشراف: الدّكتور بوجمعة شتوان، كليّة الآداب واللغات قسم اللغة العربيّة وآدابها، فرع اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزّو تاريخ المناقشة: 2012./07/03

3-جاك موشلر وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداوليّة، المركز الوطني للترجمة، منشورات دار سيناترا، تونس، دط، 2010.

4-جحفة عبد المجيد: مدخل إلى الدّلالة الحديثة، دار توبقال للنشر والتّوزيع الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

5-جرهارد هلبش: تاريخ علم اللغة الحديث، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشّرق، مصر، ط1، 2003.

6-الحباشة صابر: تحليل المعنى مقاربات في علم الدّلالة، دار مكتبة الحامد للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2001.

7-دان سبيربر وديدري ولسون: نظريّة الصّلة أو المناسبة في التّواصل والإدراك تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1 مارس 2016.

8-الزّناد الأزهر: نظريات لسانيّة عرفانيّة، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، تونس دط، جوان 2009.

9-شتيح صليحة: ملامح التّفكير العرفاني عند النّقاد والبلاغيين العرب القدامى مجلة فصول النّقد الأدبي، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، مصر، العدد100 المجلد4/25، 2017.

10-عشير عبد السّلام: عندما نتواصل نغير، إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء االمغرب، دط، 2006.

11-فرديناند دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربيّة، بغداد، العراق، ط3، 1985.

12-غاليم محمّد: النّظريّة اللسانيّة والدّلالة العربيّة المقارنة، دار توبقال للنشر الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2007.

13-مجدوب عز الدّين: إطلالات على النّظريات اللسانيّة، المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون، ج1، 2012.

14-منقور عبد الجليل: علم الدّلالة مباحثه وأصوله في التّراث العربي، إتّحاد الكتاب العرب، سوريا، دط، 2011.

15- George lakoff : women, fire, and dangerous things, what categories reval about the mind, the university of chicago presse, chicago and london,1987 .

16- Lucien Sfez: Dictionnaire critique de la communication- Dictionnaire encyclopédique de pragmatique ,ED,Pesses universitaire de france, 1992.

7. هوامش:

[1] عبد الجبار بن غربيّة: مدخل إلى النّحو العرفاني، مسيكلياني للنشر والتّوزيع منوبة تونس، ط1، 2010، ص21.

[2] ينظر صابر الحباشة: تحليل المعنى مقاربات في علم الدّلالة، دار مكتبة الحامد للنشر، عمان، الأردن،2001، ط1، ص 39.

[3] منقور عبد الجليل: علم الدّلالة مباحثه وأصوله في التّراث العربي، إتّحاد الكتاب العرب، سوريا، دط، 2011، ص 62.

[4] صابر الحباشة: تحليل المعنى مقاربات في علم الدّلالة، مرجع سابق، ص 40.

* ونعني هنا العلاقات السّنتغماتيّة(Syntagmatic relations) أو الاستبداليّة والعلاقات البراديغماتيّة Paradigmatic relationsأو التّرابطيّة.

[5] صابر الحباشة: تحليل المعنى مقاربات في علم الدّلالة، مرجع سابق، ص 39.

[6] فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربيّة بغداد، العراق، ط3، 1985، ص 140.

[7] عبد الجبار بن غربيّة: مدخل إلى النّحو العرفاني، مرجع سابق، ص25.

[8] جرهارد هلبش: تاريخ علم اللغة الحديث، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشّرق، مصر، ط$_1$، 2003، ص ص 122، 123.

[9] عبد الجبار بن غربيّة: مدخل إلى النّحو العرفاني، مرجع سابق، ص26.

** ملامح النّظريّة التّركيبيّة أو مظاهر النّظريّة التّركيبيّة.

[10] عبد الجبار بن غربيّة: مدخل إلى النّحو العرفاني، مرجع سابق، ص26.

[11] عبد المجيد جحفة: مدخل إلى الدّلالة الحديثة، دار توبقال للنشر والتّوزيع، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص 78.

[12] الأزهر الزّناد: نظريات لسانيّة عرفنيّة، مرجع سابق، ص 29، 30.

[13] George lakoff : women, fire, and dangerous things, what categories reval about the mind, the university of chicago presse, chicago and london,1987 ,p(xi) (perfex) .

[14] الأزهر الزّناد: نظريات لسانيّة عرفانيّة، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، تونس، دط جوان 2009، ص15.

[15] عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نغير، إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب دط، 2006، ص 18.

[16] المرجع نفسه، ص 18.

[17] جاك موشلر وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداوليّة، المركز الوطني للترجمة منشورات دار سيناترا، تونس، دط، 2010، ص 103.

[18] عمر بن دحمان: الاستعارات والخطاب الأدبي–مقاربة معرفيّة معاصرة–، مذكرة لنيل درجة الدّكتوراه، إشراف: الدّكتور بوجمعة شتوان، كليّة الآداب واللغات، قسم اللغة العربيّة وآدابها، فرع اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزّو تاريخ المناقشة: 2012/07/03، ص08.

***هي مستوى من مستويات التّمثيل الذّهني و نسق مركزي من أنساق الذّهن، وهي ليست جزء من اللغة في حدّ ذاتها، بل هي البنيّة الذّهنيّة التي ترمّزها اللغة في صورة قابلة

للتّواصل(محمّد غاليم الحاج، النّظريّة اللسانيّة والدّلالة العربيّة المقارنة، مرجع سابق، ص 33).

**** يذهب هشام إبراهيم عبد الله الخليفة إلى اقتراح مصطلح Revelance كمقابل أجنبي لنظريّة الصّلة أو المناسبة عن كتاب "Relevance,communication and cognition" لمؤلّفيه الأصليين "سبيربر وولسون"، في حين يقترح "عبد السّلام عشير" مصطلح Pertinence كمقابل أجنبي لنظريّة المناسبة أو الإصابيّة ؛ فالإصابيّة نسبة للمقابل المستوحى من الإصابة في المعنى لدى النّقاد، أمّا مبدأ المناسبة فهو ذلك المفهوم ذا الخصوصيّة السّيكولوجيّة، الذي يعمل على اختيار ما يُأخذ باهتمام المتخاطبين وما يؤثّر فيهم من أقوال وحجج، فالكائنات البشريّة تمتلك حدس الإصابيّة بأن تستطيع التّمييز بين المعلومات الملائمة وغير الملائمة (ينظر: دان سبيربر وديدري ولسون: نظريّة الصّلة أو المناسبة في التّواصل والإدراك، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت ، لبنان، ط1 مارس 2016 وعبد السّلام عشير: عندما نتواصل نغير، مرجع سابق، ص 33).

[19] عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نغيّر، مرجع سابق، ص34 نقلا عن:

Lucien Sfez: Dictionnaire critique de la communication–Dictionnaire encyclopédique de pragmatique ,ED,Pesses universitaire defrance, 1992,p30..

[20] دان سبيربر وديدري ولسون: نظريّة الصّلة أو المناسبة في التّواصل والإدراك مرجع سابق، ص06.

[21] عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نغيّر، مرجع سابق، ص32.

[22] صليحة شتيح: ملامح التّفكير العرفاني عند النّقاد والبلاغيين العرب القدامى مرجع سابق، ص396.

[23] عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نغير، مرجع سابق، ص23.

[24] المرجع نفسه، ص 24.

[25] جاك موشلار وآن ريبول القاموس الموسوعي للتداوليّة، مرجع سابق، ص 100.

***** تُنسَب هذه النّظريّة لصاحبها جيل فوكونيي وله فيها كتابا موسوم بـ" الفضاءات الذّهنيّة: مظاهر من بناء المعنى في اللغات الطّبيعيّة" Espaces menteaux: Aspects

de la construction du sens dans les langues naturelles والفضاء الذّهني هو بنيّة عرفنيّة تُبنَى فيها المجالات وتنتظم وتترابط بأنواع من التّرابطات ما بين المجالات، وهو جملة المعلومات المنظّمة المتعلّقة بالمعتقدات والأشياء، ويكون بناء الأفضيّة في جميع الأنشطة الرّمزيّة لعلّ أبرز ممثّل لها هو النّشاط اللغوي بحيث تنشأ الأفضيّة نشوءا فوريا أثناء الكلام وتتعدّد وتتناسل (ينظر: الأزهر الزّناد، نظريات لسانيّة عرفنيّة، مرجع سابق، ص206.)

[26] عبد المجيد جحفة: مدخل إلى الدّلالة الحديثة، مرجع سابق، ص50.

[27] الأزهر الزّناد: نظريات لسانيّة عرفانيّة، مرجع سابق، ص 206.

[28] عز الدّين مجدوب: إطلالات على النّظريات اللسانيّة، المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون، ج1، 2012، ص ص 387، 388.

[29] محمّد غاليم: النّظريّة اللسانيّة والدّلالة العربيّة المقارنة، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص21.

• الأنظمة المداريّة تشتمل على ستة قوالب: الحسي، الإدراكي، السّمع البصري اللمس، الشّم، اللغة. (ينظر: عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نغير، مرجع سابق ص 29.).

•• منها ماهو متخصص في حل الرّموز اللسانيّة ومنها ما هو متخصص في إدراك الأشخاص والتّعرف عليهم ومنها ماهو متخصص في التّعرف على الرّموز والأشياء الموجودة في العالم الخارجي. (ينظر: عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نغير مرجع سابق، ص 28).

[30] عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نغير، مرجع سابق، ص 32.